المفسرون واهتمامهم بالشعر العربي في فهم المفردة القرآنية الطبري والشنقيطي أنموذجاً

د. أحمد حمد سليمان الصقعبي (*)

(*) أستاذ مساعد بقسم التفسير والحديث - كلية الشريعة والدراسات الإسلامية - جامعة الكويت.

ملخص البحث:

تنبع أهمية الشعر العربي من كونه موسوعة حوت علوم العرب ومعارفهم، وأساليبهم في التعبير؛ فلذا كان مقصداً مهماً، وركيزة معتبرة عند طائفة من علماء التفسير على اختلاف اتجاهاتهم ؛ باعتبار أن القرآن نزل بلغة العرب، ووفق مذاهبهم في التعبير.

لكني – ومن خلال قراءاتي لكتب التفسير – لمست ثغرة بارزة، وقصوراً واضحاً لدى طائفة من المفسرين يتجلى في تهميش هذا الأصل المهم، وهو الشواهد الشعرية.

ولذلك فإني عزمت على طرق هذا الموضوع، وبيان علاقته المتجذرة والقديمة بالنص القرآني، مقتصراً في بيان وتطبيق هذه العلاقة، وكشف هذه الأهمية على مفسرين اثنين، هما: ابن جرير الطبري، والشنقيطي؛ لما للأول من الأصالة، ولما للآخر من المعاصرة في تنمية وتطوير وتوسيع هذا التفاعل بين المفردة القرآنية والنص الشعري.

وقد عمدت إلى إيضاح ذلك من خلال مقدمة بينت فيها أهمية الموضوع، ومسوغات اختياره، وإضافة الباحث، ومبحثين شرحت فيهما طبيعة هذه العلاقة، ومنهج وإسهامات ابن جرير والشنقيطي في هذا الميدان، ثم الخاتمة التي استخلصت فيها أهم النتائج.

المقدمة:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، ﷺ، وبعد،،

فإذا كانت فكرة الاستعانة بالشواهد الشعرية في تفسير النصوص القرآنية لم تنل حظاً وافياً وكافياً من الاهتمام، بل لم يُلتفت إليها – أصلاً – لدى طائفة من كتب التفسير، إلا أنها كانت حدثاً بارزاً، وظاهرة ملموسة، وحاضرة بقوة في بعضها الآخر.

حيث استطاع بعض المفسرين، أن يضم هذه الشواهد الشعرية إلى أصول التفسير المتفق على ضرورة الاستعانة بها، فأخذت طريقها إلى سد الفجوات والثغرات البارزة عند كثير من المفسرين.

ولما كان الشعر العربي، هو الوعاء الذي يحوي مفردات وأساليب ومذاهب العرب في التعبير، فقد وظفه المفسرون في شرح وإيضاح كثير من المفردات والتعابير القرآنية، الأمر الذي أكسبه صبغة شرعية، لكنه لم يكن أبداً حجة مستقلة مقدمة على الأصليين – الكتاب والسنة – وإنما متمماً ومكملاً لهما.

وقد كانت هذه العلاقة بين النصوص القرآنية، والشواهد الشعرية تكبر وتصغر في كتب التفسير، تبعاً لثقافة واتجاه المفسر ذاته.

ولما كان الشعر العربي من الأدوات التفسيرية الضرورية التي وظفها المفسرون، فلا بدَّ من معرفة بدايات هذه الاستعانة بهذه الشواهد، وأسلوب ومنهجية الاستعانة بها.

ولعل من أهم ما دفعني إلى الكتابة في هذا الموضوع:

١ – لفت الأنظار إلى قيمة الشواهد الشعرية، وعلاقتها المباشرة في كشف الغامض من المفردات القرآنية.

٢ – معرفة بدايات هذه الظاهرة ورصد تطورها.

٣ – محدودية إبراز جهود المفسرين في طرق هذا النوع من التفسير، عدا

إشارات لا تفي في الغرض، حرَّرها المتخصصون في شؤون مناهج المفسرين.

ونظراً لما تقتضيه طبيعة ومحدودية الكتابة في هذا البحث، فقد اقتضت الدراسة التركيز على شخصيتين مهمتين في هذا الميدان:

الشخصية الأولى: محمد بن جرير الطبري.

الشخصية الثانية: محمد الأمين الشنقيطي.

وذلك لما كان لهما من بروز واضح، وتميز ظاهر في هذا التخصص، ولما للأول من فضل السبق في تطويرها وتنميتها، ولما للثاني من العناية بها وتوظيفها في العهد الحديث.

ولما كانا يتمتعان به من تنوع وغزارة، بالإضافة إلى العمق والأصالة في ميدان التفسير، وجميع الميادين العامة.

- الدراسات السابقة

أ - مقدمات كتب التفسير.

ب - التفسير والمفسرون للدكتور الذهبي.

- كتب مناهج المفسرين على اختلافها.

د - أصول التفسير وقواعده للشيخ خالد العك وغير ذلك.

هـ - دراسة الطبري للمعنى للأستاذ محمد المالكي.

- إضافات البحث:

١ - الإشارة إلى أن توظيف النصوص الشعرية في كشف غموض المفردات القرآنية، لم يتبلور ويأخذ طابعاً فنياً، ويصبح أداة فعاله، وآلية مهمة في تفسير القرآن، إلا على يد الإمام الطبري، فقد استطاع - من خلال تفسيره - أن يستقطب أنظار وإعجاب العلماء في أقطارهم كافة، حول منهجية متكاملة في توظيف النصوص الشرعية.

٢ – لفت الأنظار إلى قيمة وأهمية الشواهد الشعرية في تفسير أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، لما يحويه من ثروة غزيرة لمعارف العرب وعلومهم.

٣ – الإشارة إلى أن استحضار النصوص الشعرية، وتوظيفها في النصوص القرآنية: أصل معتبر من الأصول التفسيرية، الواجب توافرها فيمن يتصدى لتفسير القرآن، وأنه لا يقل قيمة وأهمية عن باقي الأصول المعتبرة.

ومن خلال ما سبق آثرت تقسيم البحث على النحو التالي:

مقدمة ومبحثان وخاتمة.

أما المقدمة: فشرحت فيها أهمية الموضوع، وأسباب اختياره وإضافته.

المبحث الأول: إسهامات ابن جرير الشعرية في تفسير القرآن.

المطلب الأول: أقوال المتخصصين في قيمة الشواهد الشعرية.

المطلب الثاني: أسباب تهيب بعض المفسرين من إيراد الشواهد الشعرية.

المطلب الثالث: تعريف موجز بابن جرير.

المطلب الرابع: ابن جرير والشواهد الشعرية.

المبحث الثاني: إسهامات محمد ألأمين الشنقيطي الشعرية في تفسير القرآن

المطلب الأول: تعريف موجز بالشنقيطي.

المطلب الثاني: منهج الشنقيطي في إيراد الشواهد الشعرية.

الخاتمة: وفيها استخلصت أهم نتائج الدراسة.

المبحث الأول
إسهامات ابن جرير الشعرية في تفسير القرآن

المطلب الأول
أقوال المتخصصين في قيمة الشواهد الشعرية

تفيد الروايات أن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - كان أول من لفت الأنظار إلى ضرورة الرجوع إلى الشعر العربي - الجاهلي - في فهم غريب القرآن.

فقد حكى غير واحد أن عمر بن الخطاب سأل أصحابه عن معنى قوله تعالى ﴿أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَىٰ تَخَوُّفٍ﴾[1]، فقام له شيخ من هذيل فقال له: هذه لغتنا، التخوف: التنقص، فقال له عمر: هل تعرف العرب ذلك في أشعارها؟ فقال له الرجل: نعم، وروى قول الشاعر:

تخوَّف الرَّحلُ منها تامكاً قَرِداً كما تخوَّفَ عُودُ النبعةِ السَّفَنُ

فقال عمر - رضي الله عنه - لأصحابه: عليكم بديوانكم، لا تضلوا، قالوا: وما ديواننا؟ قال: شعر الجاهلية، فإن فيه تفسير كتابكم، ومعاني كلامكم[2].

ويلخص لنا الإمام الشاطبي هذه القيمة الخاصة بعبارة جامعة فيقول: لأن القرآن نزل بلسان العرب على الجملة، فطلب فهمه إنما يكون من هذا الطريق خاصة، لأن الله تعالى يقول ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا﴾[3].

وقال ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ﴾[4].

---

(١) سورة النحل آية (٤٧).

(٢) أورده الشاطبي في الموافقات (٢/٨٨)، التامك: هو السنام، القردُ: الذي تجعد شعره، النبع: شجر للقسي والسهام، السَّفَن: كل ما ينحت به غيره، والمعنى أن السير تسبب في النقص من سنام الناقة، مثلما ينتقص المبرد من الخشب، (انظر: تفسير القرآن - أصول وضوابط د. علي العبيد صـ ٧٩).

(٣) سورة يوسف آية (٢).

(٤) سورة الشعراء آية (١٩٥).

فمن أراد تفهمه من جهة لسان العرب يفهم، ولا سبيل إلى تطلب فهمه من غير هذه الجهة[١].

ومن أجل هذه الخاصية للشعر العربي شاع بين الأدباء والعلماء أن الشعر ديوان العرب[٢] وما ذلك إلا لأنه مستودع يضم ثقافة العرب، وتجاربهم، وحكمهم، ومعارفهم من لغة وأدب وغير ذلك.

قال ابن قتيبة: الشعر معدن علم العرب، وسفر حكمتها، وديوان أخبارها، ومستودع أيامها، والسور المضروب على مآثرها ...[٣].

وما كان ذلك ليكون لولا الثراء اللغوي الذي احتواه، واستوعبه الشعر الجاهلي، إذ لا يتصور الإحاطة بخصائص الأسلوب العربي ومفرداته، وإدراك دلالاته الدقيقة بمعزل عن لسان العرب.

ولأهميته اعتمده كثير من النحاة كأداة مهمة من أدوات فهم المفردة.

وفي ذلك يقول الدكتور محمد عيد: (أن الظاهرة الواضحة في كتب النحو العربي هي الاعتماد الأساسي على الشعر، إذ يكون وحده العنصر الغالب في دراسات النحاة المتقدمين والمتأخرين من بين مصادر الاستشهاد، وهي ظاهرة يمكن أن نلمسها بعمق، في كتب النحو وحدها، دون معاجم اللغة[٤].

ويلاحظ أن التركيز على النصوص الشعرية، إنما كان في الأغلب لفهم المفردة الغريبة الغامضة.

وفي ذلك يقول الراغب الأصفهاني: (وكثير من النحويين لا يميلون إلى الشعر إلا ما فيه إعراب مستغرب ومعنى مستصعب[٥].

---

(١) انظر: الموافقات (٢/ ٦٤).
(٢) انظر: أصول التفسير وقواعده للشيخ خالد العك صـ ١٤٥.
(٣) انظر: عيون الأخبار لابن قتيبة (٢/ ٢٠٠).
(٤) انظر الاستشهاد والاحتجاج باللغة ص ١١٥.
(٥) محاضرات الأدباء ١/ ٥٦ نقلاً عن المصدر السابق ص ١١٨.

المطلب الثاني
أسباب التهيب من الخوض في الشعر لتفسير غريب القرآن

انصرف كثير من العلماء والمفسرين، عن الولوج في الشواهد الشعرية لتفسير الآيات القرآنية، حذراً من الزلل لاسيما في كتاب الله.

ويعبر الزركشي عن هذا الاتجاه فيقول: وهذا الباب عظيم الخطر، ومن هنا تهيب كثير من السلف تفسير القرآن، وتركوا القول فيه حذراً أن يزلوا فيذهبوا عن المراد، وإن كانوا علماء باللسان فقهاء في الدين، وكان الأصمعي وهو إمام اللغة – لا يفسر شيئاً من غريب القرآن[١].

وحكي عن الأصمعي أنه سئل عن قوله تعالى ﴿شَغَفَهَا حُبًّا﴾[٢] فسكت وقال: هذا في القرآن، ثم ذكر قولاً لبعض العرب في جارية لقوم أرادوا بيعها: أتبيعونها وهي لكم شغاف! ولم يزد على هذا[٣].

ولعل الأصمعي في تحرجه، خشي أن يكون اللفظ مشتركاً وهو يعلم أحد المعنيين، وقد يكون المراد المعنى الآخر الذي لا يعلمه.

وبذلك يمكن أن نفهم أيضاً سبب تحرج عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – عن الخوض في معنى الأب من قوله تعالى ﴿وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا﴾[٤]، معتبراً ذلك من باب التكلف، حذراً منه – رضي الله عنه – أن يحدد "الأب" بمعنى لا يكون مراداً، ولا يُستبعد أن يكون مدركاً – رضي الله عنه – من خلال السياق العام أن الأب نوع من نباتات الأرض.

وتوضيحاً لذلك قال الشاطبي: لما قرأ عمر ﴿وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا﴾ توقف في معنى "الأب" وهو معنى إفرادي لا يقدح عدم العلم به في عام المعنى

---

(١) البرهان في علوم القرآن (١/٣٩٨).
(٢) سورة يوسف آية (٣٠).
(٣) المصدر السابق (١/٣٩٩).
(٤) سورة عبس آية (٣١).

التركيبي في الآية، إذ مفهوم من حيث أخبر الله تعالى في شأن طعام الإنسان مباشرة كالحب والعنب والزيتون والنخل، ومما هو طعامه بواسطة ما هو مرعى للأنعام على الجملة، فبقي التفصيل على كل فرد من تلك الأفراد فصلاً، فلا على الإنسان ألا يعرفه.

فمن هذا الوجه – والله أعلم – عُدَّ البحث عن معنى "الأب" من التكلف، وإلا فلو توقف عليه فهم المعنى التركيبي من جهة لما كان من التكلف، بل من المطلوب علمه؛ لقوله تعالى ﴿لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ﴾[1].

ووفقاً لما ارتآه أستاذنا محمد بلتاجي، فإن التفسير عند عمر بن الخطاب كان بحثاً ملحاً عن حكم لواقعة تواجهه، ومن ثم لم يحاول – رضي الله عنه – استقصاء المعنى الدقيق للفظ "الأب" لعدم توقف مصالح عملية عليها، ولذلك عده نوعاً من التكلف والحذلقة اللغوية[2].

ويمكننا القول: بأن التهيب هو اتجاه إن لم يلاحظ عند بعض العلماء، فيمكن ملاحظته واقعاً وعملاً وتطبيقاً خلال مؤلفات تفسيرية عديدة، لم يلتفت أربابها – ولو مرة واحدة – إلى شاهد شعري يمكن أن يسهم في تفسير نص قرآني.

ويقابل هذا الاتجاه موقف آخر من العلماء، لاحظ ضرورة وأهمية الاستعانة بالصناعة الشعرية، فعمد إلى استحضارها واستدعائها في التفسير.

ويرصد أبو بكر بن الأنباري هذا الموقف بعد ذكره استشهاد ابن عباس بالشعر في بيان غريب القرآن، فيقول:

وفيه دلالة على بطلان قول من أنكر على النحويين احتجاجهم على القرآن بالشعر، وأنهم جعلوا الشعر أصلاً للقرآن، وليس كذلك، إنما أراد النحويون أن

---

(١) الموافقات للشاطبي (٢/٨٧-٨٨).
(٢) انظر: مدخل إلى علم التفسير د. محمد بلتاجي صـ ٤٧.

يثبتوا الحرف الغريب من القرآن بالشعر؛ لأن الله تعالى قال ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا﴾[1]، وقال ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ﴾"[2].

وقال ابن عباس: الشعر ديوان العرب، فإذا خفي عليهم الحرف من القرآن الذي أنزله الله بلغتهم رجعوا على ديوانهم، فالتمسوا معرفة ذلك[3].

ومن أجل ذلك، ذهب المتخصصون في تاريخ القرآن، إلى القول باستمرار هذه الطريقة – أعني الاستعانة بالشعر – إلى عهد التابعين ومن يليهم، إلى أن حدثت خصومة بين متورعي الفقهاء، وأهل اللغة[4].

ولكن مهما بلغت درجة الخصومة – لأي سبب من الأسباب – فقد ظل الاعتماد على الشعر العربي الجاهلي وسيلة مهمة، وأداة معتمدة في تحديد المعاني الدقيقة، وتقليب الألفاظ على المستويات المعرفية كافة التي تتسع لها اللغة العربية.

المطلب الثالث

تعريف موجز بابن جرير الطبري.

هو محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب يكني بأبي جعفر الطبري، مولده سنة أربع أو أول سنة خمسة وعشرين ومائتين، مفسر، فقيه، مؤرخ، استوطن بغداد، وأقام بها إلى حين وفاته.

أثنى عليه الخطيب فقال: كان أحد الأئمة الأعلام يحكم بقوله، ويرجع إلى رأيه؛ لمعرفته وفضله، وكان قد جمع من العلوم ما لم يشاركه فيه أحد من أهل عصره، وكان حافظاً لكتاب الله عز وجل، عارفاً بالقرآن، بصيراً بالمعاني، فقيهاً بأحكام القرآن، عالماً بالسنن وطرقها وصحيحها وسقيمها، وناسخها

---

(١) سورة يوسف آية (٢).
(٢) سورة الشعراء آية (١٩٥).
(٣) انظر: الإتقان للسيوطي (٢/٣٤٦-٣٤٧).
(٤) انظر: التفسير والمفسرون د. الذهبي (١/٨٢).

ومنسوخها، عارفاً بأقوال الصحابة والتابعين ومن بعدهم من المخالفين في الأحكام، ومسائل الحلال والحرام، عارفاً بأيام الناس وأخبارهم.

وقد تلقى العلماء آثاره العلمية ومؤلفاته الزاخرة بفيض من الاهتمام، ووافر من العناية، فاستفادوا منها، وأحالوا عليها، وامتدت هذه العناية إلى عصرنا الحالي، فلا تكاد تخلو مكتبة إسلامية أو ثقافية من مؤلفاته، ومن أبرزها: تفسير الطبري، المسمى جامع البيان عن تأويل آي القرآن، وكتابه المشهور تاريخ الأمم والملوك، وله في أصول الفقه وفروعه كتب كثيرة، واختيار من أقاويل الفقهاء، وتفرد بمسائل حفظت عنه، كانت وفاته يوم السبت لأربع بقين من شوال سنة عشر وثلاثمائة، ودفن يوم الأحد ليلاً؛ خوفاً من العامة؛ لأنه كان يتهم بالتشيع[1].

المطلب الرابع
ابن جرير والشواهد الشعرية

لا أريد أن أقف طويلاً في إبراز مكانة الطبري الأدبية، التي ستتجلى بشكل أكبر في إطارها التطبيقي من خلال تفسيره، لاسيما وأن المصادر القديمة تنوعت في الإشادة بكفاءة الطبري الأدبية.

لكن الذي ينبغي أن يشار إليه، أن الطبري ليس مجرد ناقل وراوٍ للشعر القديم، وإنما بلغ مستوى من النضج أهلَّه لأن يكون ناقداً للشعر العربي القديم

ولعلنا أن نجلي المقومات المنهجية للاتجاه الذي سلكه الطبري في استشهاده بالشعر العربي في تفسير وبيان النصوص القرآنية:

١ - إن الإمام الطبري في استشهاده بالشعر يرجع بالكلمة - أحياناً - إلى أصلها اللغوي؛ ليتوصل به إلى معنى الآية، ومثال ذلك ماورد عنه في تفسير الهدي من قوله تعالى ﴿وَلَا تَحْلِقُوا۟ رُءُوسَكُمْ حَتَّىٰ يَبْلُغَ ٱلْهَدْىُ مَحِلَّهُۥ﴾[2] حيث

---

(١) انظر: ترجمته - طبقات المفسرين للداودي (٢/١٠٦-١١٤)، تاريخ بغداد (٢/١٦٣).
(٢) البقرة آية ١٩٦.

استشهد الطبري بيت لزهير بن أبي سلمى لبيان معنى الهدي يذكر فيه رجلاً أُسِرَ، يشبهه في حرمته بالبدنة التي تهدى.

فلم أر معشراً أسروا هدياً ولم أر جار بيت يستباء![1]

٢ - وقد يرجع الطبري إلى الشعر ليدلل على لغة من لغات العرب، كما دلل في قوله تعالى ﴿يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ﴾[2] على أن العرب قد تصل ذا وتجعلها بمعنى الذي، مستنداً في ذلك إلى قول الشاعر:

عدسْ ! ما لعبادٍ عليكِ إمارةٌ أمنتِ وهذا تحملين طليق !

فتحملين من صلة هذا[3].

٣ - من الملامح الرئيسة في الجانب اللغوي عند الطبري: أنه لم يتعسف في استعمال هذه الثروة خدمة لأغراضه، وآرائه على حساب الحقيقة اللغوية الناصعة، وإنما كان موضوعياً غير منحاز إلى شيء من ذلك، وإن تسبب ذلك إلى مخالفة المدرسة التي ينتمي إليها، وهي المدرسة الكوفية.

ومن الأمثلة الموضحة لذلك: ما جاء عنه بصدد تفسير أول سورة البقرة حيث قال: وقد زعم بعض المتقدمين في العلم بالعربية من الكوفيين أن "**أ لم**" مرافع "**ذلك الكتاب**" بمعنى هذه الحروف من حروف المعجم، ذلك الكتاب الذي وعدتك أن أوحيه إليك، ثم نقض ذلك من قوله فأسرع نقضه، وهدم ما بنى فأسرع هدمه، فزعم أن الرفع في "هدى" من وجهين، والنصب من وجهين، وأن أحد وجهي الرفع: أن يكون "الكتاب" نعتاً لـ "ذلك" و "الهدى" في موضع خبر لـ "ذلك"، كأنك قلت: ذلك هدى لا شك فيه .... إلخ ما قاله الإمام الطبري، ثم يأتي ويعقب بقوله: قال أبو جعفر: فترك الأصل الذي أصَّله في "أ لم" وأنها مرفوعة بـ "ذلك الكتاب"، ونبذه وراء ظهره، واللازم كان له على الأصل الذي

---

(١) تفسير الطبري ٢/٢٢٩.
(٢) البقرة آية ٢١٥.
(٣) تفسير الطبري ٢/٣٥٥.

أصَّله، أن لا يجيز الرفع في "هدى" بحال إلا من وجه واحد، وذلك من قبل الاستئناف، إذ كان مدحاً، فأما على وجه الخبر لـ "ذلك" أو على وجه الإتباع لموضع "لا ريب فيه" فكان اللازم له على قوله أن يكون خطأ، وذلك أن "أ لم" إذا رافعت "ذلك الكتاب" فلا شك أن "هدى" غير جائز حينئذٍ أن يكون خبراً لـ "ذلك" بمعنى المرافع له، أو تابعاً لموضع "لا ريب فيه" لأن موضعه حينئذٍ نصب، لتمام الخبر قبله، وانقطاعه بمخالفته إياه عنه(١).

وسيأتي معنا فيما بعد مثالٌ آخر يجلي ويؤكد هذه الحقيقة المنهجية، ويرسي قواعدها.

٤ – استمد الطبري حجية الشواهد الشعرية في تفسير الآيات، من خلال حجية أصول وقواعد عامة، تعود في مجملها إلى أن القرآن الكريم نزل بلغة العرب، ووفق مذاهبهم في التعبير.

وانطلاقاً من ذلك، وبناء عليه، فإن الشعر يمثل قاعدة عريضة، أشبه ما يكون بمذكرة تفسيرية تطبيقية، لما كان عليه العرب في استعمالاتهم اللغوية على مستوى المفردة أو التراكيب اللغوية.

إلا أن ذلك لم ينسه لحظة أن المرجعية الأولى يجب أن تكون للنصوص الأثرية، وهو المنهج العام المعتمد، مهما كانت درجة ومستوى حجية الشواهد الشعرية، فلابد ألا تتناقض – بوجه من الوجوه – مع الطابع الأثري.

ويؤكد ذلك فيقول: وأصحهم برهاناً فيما ترجم وبين من ذلك، مما كان علمه مدركاً من جهة اللسان، إما بالشواهد من أشعارهم السائرة، وإما من منطقهم ولغاتهم المستفيضة المعروفة كائناً من كان ذلك المتأول والمفسر، بعد ألا يكون خارجاً تأويله ما تأول وفسر من ذلك، عن أقوال السلف من الصحابة، والأئمة التابعين، من علماء الأمة(٢).

---

(١) انظر: جامع البيان في تأويل القرآن (١/ ١٣١-١٣٢).
(٢) المصدر السابق (١/ ٦٦).

وعليه فإن الشواهد الشعرية تخضع لمعايير وضوابط تحدد مستوى الشاهد، بجانب أصول تفسيرية أخرى تتقدم عليه في الرتبة.

ولم يكن الطبري أبداً يسوق ويورد هذا الكم من الشواهد الشعرية، للاستئناس أو بما يسمى المتعة الأدبية، وإنما كان ينشد البيان المباشر لتلك النصوص، وتعزيز دلالتها.

لذلك لا يكاد يورد شاهداً واحداً، إلا في سبيل خدمة الهدف المرسوم للبيان القرآني.

٥ – لا يمكن تصور انعزال الطبري عمَّن سبقه ممن عنوا بربط القرآن بالشعر، إلا أن الطبري كان نموذجاً فريداً استفاد، لكنه أضاف، ونقل عن غيره بيد أنه حلل ونقد، وشرح وعلق على كل ما من شأنه أن يدعم فهم النص، ويزيل اللبس، فلا تكاد تجد منهجاً علمياً متكاملاً عند غيره، بالرغم من تأثره بأصل الفكرة.

٦ – بالرغم من الأصل العام الذي سار عليه الطبري في استشهاداته الشعرية، وهو عدم اللجوء إلى الاستعانة بالأبيات الشعرية، إلا إذا كانت تسهم في بيان وإيضاح المفردة القرآنية.

إلا أن هذا الأصل دخلته استثناءات جزئية، هي أن الطبري قد يورد الشواهد الشعرية ضمن السياق العام للقصة، أو الأثر المروي دون أن يقصد به الاستدلال أو الاحتجاج على تفسير لفظة، أو تعبير معين في آية قرآنية، وإنما أورده إتماماً، واستكمالاً لأطراف وسياق القصة أو الأثر المروي.

ومن أدلة ذلك مثلاً: ما أورده من أثر في سياق تفسير قوله تعالى ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ مِن قَبْلِ أَن تَقْدِرُواْ عَلَيْهِمْ فَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[1].

---

(١) سورة المائدة آية (٣٤).

حيث يورد الطبري اختلاف المفسرين في تحديد المراد بهذه الآية، فيقول بعد أن يسوق الإسناد إلى الإمام الشعبي قال: كان حارثة بن بدر قد أفسد في الأرض وحارب، ثم تابَ فكُلِّمَ له عليٌّ فلم يؤمِّنه، فأتى سعد بن قيس فكلمه فانطلق سعيد بن المسيب إلى علي فقال: يا أمير المؤمنين، ما تقول فيمن حارب الله ورسوله؟ فقرأ الآية كلها فقال: أرأيت من تاب من قبل أن تقدر عليه؟ قال: أقول كما قال الله، قال: فأمنه علي.

فقال حارثة:

ألا أبْلِغَنْ هَمْدانَ إمَّا لقيتَهَا على النَّايِ لا يَسْلَمْ عدُوٌّ يَعيبُها

لَعَمْرُ أبيها إنَّ همدان تتقي الإله ويَقضي بالكتاب خطيبُهَا[١]

وبذلك يتبين، أن الشواهد الشعرية يثني فيها حارثة على همدان التي جلبت له الأمان بكتاب الله، بعد أن رفض على بن أبي طالب أن يؤمنه، دون أن يعرج في أبياته على بيان مفردة قرآنية، وإن كان الأثر يشير إلى أن الاستثناء الوارد في الآية السابقة، هو الذي احتج به على علي بن أبي طالب.

ونظراً لاتجاه الطبري الأثري، فإنه ملتزم بسياق الأثر بما يحويه من أبيات شعرية، وإن كانت لا تسهم إسهاماً مباشراً في خدمة النص القرآني على وجه الخصوص، إلا أن ذلك لم يمنع الطبري – أيضاً – من إيراد شواهد شعرية، ضمن سياق الخبر المروي – في معرض تفسير الآية ويكون مقصوداً لذاته في الاحتجاج بتفسير لفظة معينة[٢].

٧ – يحاول الطبري في الرواية الشعرية التي يعتمدها في الكشف عن معنى لفظة قرآنية، أن يستوعب الروايات الشعرية، وإن كانت متفاوتة في عباراتها، وكل ذلك ضمن باب التنوع؛ لتأكيد معنى المفردة التي هو بصدد الكشف عن مدلولها.

---

(١) انظر: تفسير الطبري (٤/٥٦٢).

(٢) انظر: مثلاً تفسيره لمفردة " الفوم " من سورة البقرة آية (٦٠).

ودليل ذلك ما ورد عنه في معرض بيان المراد "بالشطر" من قوله تعالى في سورة البقرة ﴿شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾[1].

فيقول: بعني بـ "الشطر" النحو والقصد والتلقاء، كما قال الهذلي:

إنَّ العَسيرَ بها داءٌ مُخَامِرُها فَشَطْرَهَا نَظَرُ العَيْنَين مَحْسُورُ

يعني بقوله "شَطْرها" نحوها، وكما قال ابن أحمر:

تَعْدُو بنا شَطْر جَمْع وهي عاقِدةٌ قد كَاربَ العَقْدُ من إيفادِهَا الحَقَبَا[2]

بل إنه قد يعمد إلى استيعاب طرق الرواية الشعرية ذاتها، وإن كانت غير شائعة عند الرواة في بعض طرقها، وكل ذلك من باب النزاهة والأمانة العلمية اللتين تتطلبهما المنهجية العلمية.

ومن أمثلة ذلك: ما ورد في بيان معنى المحال من قوله تعالى في سورة الرعد ﴿وَهُمْ يُجَٰدِلُونَ فِى ٱللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ ٱلْمِحَالِ﴾[3] حيث يقول: والمحال: مصدر من قول القائل: ماحلت فلاناً، فأنا أماحله مماحلة ومحالاً، وفعلت منه: مَحَلْتُ أمْحَلُ مَحْلاً، إذا عرض رجلاً لما يهلكه، ومنه قوله: وماحِلٌ مُصدَّقٌ ومنه قول أعشى بني ثعلبة:

فَرْعُ نبعٍ يَهتزُّ في غُصُن المَجْدِ غَزيرُ النَّدى شديدُ المِحال

هكذا كان ينشده معمر بن المثني – فيما حدثت – عن علي بن المغيرة عنه، وأما الرواة بعد فإنهم ينشدونه:

فَرْعُ فَرْعٍ يَهْتَزُّ في غُصُن المَجْدِ كثيرُ النَّدى عظيم المِحال[4]

٨ – بالرغم من نزعة الطبري الكوفية في بناء آرائه اللغوية النحوية، إلا أن ذلك لم يمنعه من أن يستعين بأبي عبيدة – معمر بن المثني – في معرفة الغريب من القرآن.

---

(١) سورة البقرة آية (١٤٤).
(٢) تفسير الطبري (٢/٢٣).
(٣) سورة الرعد آية (١٣).
(٤) تفسير الطبري (٧/٣٦٢).

وبرهان ذلك ما مرَّ معنا في المثال السابق من الاستعانة بأبي عبيدة ببت شعري لم يحظ بالانتشار والشيوع، ورأيناه فعل ذلك - أيضاً - بصدد بيان المراد بالمور من قوله تعالى في سورة الطور ﴿يَوْمَ تَمُورُ ٱلسَّمَآءُ مَوْرًا﴾[1]. بل إنه تجاوز ذلك من الاستعانة به على مستوى المفردة القرآنية، إلى الاستعانة به على مستوى التراكيب القرآنية، وهو ما نرصده بوضوح بصدد بيان "أو" من قوله تعالى في سورة الذاريات ﴿إِلَّا قَالُوا۟ سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ﴾[2] حيث يقول: وكان معمر بن المثني يقول: "أو" في هذا الموضع بمعنى الواو التي للموالاة، فإنهم قد قالوهما جميعاً، وأنشد في ذلك بيت جرير الخطفي.

أثعلبة الفوارسَ أو رِيَّاحا عَدَلْتَ بهم طُهَيَّةَ والخِشابا[3]

ومع كل ذلك فإنه لا يغيب عنا تلك النعوت الحادة التي كان يصف بها الطبري شخصية أبي عبيدة العلمية، إلى درجة الإسراف والتوسع في هذه الطعون، مما قد يظن معه القارئ أن نقله عن أبي عبيدة لمجرد النقد والاستخفاف بعلمه، لكن ذلك لم يمنعه - في مواطن معدودة - من الاستفادة من علمه والاسترشاد برواياته الشعرية والاحتجاج بآرائه؛ مما يؤكد منهجية الطبري العلمية في التعامل حتى مع خصومه.

٩ - تفوق الفراء على أبي عبيدة - معمر بن المثني - ضمن قائمة أكثر المصادر اعتماداً عند الطبري، لكن لم تصبه سهام النقد بالدرجة ذاتها التي أصابت أبا عبيدة، إلا أنه لم يسلم منها، وإن كانت بدرجة محدودة بالرغم من أنه كوفي النزعة، وينتمي إلى ذات المدرسة التي ينتمي إليها الطبري، ولعل من أبرز الأمثلة الموضحة لذلك: ما جاء عنه بصدد بيان السبب الذي من أجله ارتفع به قوله "وصدٌّ عن سبيل" من قوله تعالى

---

(١) سورة الطور آية (٩).
(٢) سورة الذاريات آية (٣٩).
(٣) تفسير الطبري (٤٨٦/١١).

في سورة البقرة ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ ۖ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ ۖ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَكُفْرٌۢ بِهِۦ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِۦ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَٱلْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ ٱلْقَتْلِ ۗ﴾[1].

حيث قال الطبري: فقال بعض نحويي الكوفيين: في رفعة وجهان: أحدهما: أن يكون الصد مردوداً على "الكبير" يريد قل القتال فيه كبير وصد عن سبيل الله وكفر به، وإن شئت جعلت "الصد" كبيراً، يريد به قل: القتال فيه كبير، وكبيرٌ الصد عن سبيل والكفر به.

ويعقب الطبري فيقول: قال أبو جعفر فأخطأ - يعني الفراء - في كلا تأويليه، وذلك إذا رفع "الصد" عطفاً به على "كبير" يصير تأويل الكلام قل القتال في الشهر الحرام كبير وصد عن سبيل الله، وكفر بالله، وذلك من التأويل خلاف ما عليه أهل الإسلام جميعاً، لأنه لم يدع أحدٌ أن الله تبارك وتعالى جعل القتال في الأشهر الحرم كفراً بالله، بل ذلك غير جائز أن يتوهم على عاقل يعقل ما يقول أن يقوله، وكيف يجوز أن يقوله ذو فطرة صحيحة، والله جل ثناؤه يقول في أثر ذلك "وإخراج أهله منه أكبر عند الله" فلو كان الكلام على ما رآه جائزاً في تأويله هذا، لوجب أن يكون إخراج أهل المسجد الحرام من المسجد الحرام، كان أعظم عند الله من الكفر به، وذلك أنه يقول في أثره "وإخراج أهله منه أكبر عند الله" ثم يسترسل الطبري في الرد على الوجه الآخر من التأويل الذي قال به الفراء[2].

وإن كان الطبري في رده على الفراء يشوبه شيء من الحدة والشدة، إلا أن ذلك يؤكد لنا صرامة منهجية الطبري العلمية، وسلامة اتجاهه النقدي حتى مع من يتفق معهم في عموم الطرح والاستدلال.

١٠- لم يقتصر الطبري على مجرد شرح المفردات الشعرية ذات الصلة

---

(١) سورة البقرة آية (٢١٧).
(٢) تفسير الطبري (٢/ ٣٦٥).

المباشرة بالسياق القرآني، وإنما كان يتجه في كثير من الأحيان إلى شرح المفردات الغريبة التي تحويها الرواية الشعرية؛ إسهاماً منه في كشف معنى البيت على وجه يدعم فهم الآية، ففي معرض تفسير المراد باللعن[١] من سورة البقرة قال الطبري: وأصل " اللعن " : الطرد، كما قال الشماخ بن ضرار، وذكر ماءً ورد عليه:

ذَعَرْتُ بِهِ القَطَارَ نَفيتُ عنه مقام الذئب كالرجل اللعين

يعني مقام الذئب الطريد، و "اللعين" من نعت "الذئب" وإنما أراد مقام الذئب الطريد اللعين كالرجل[٢].

وهكذا يمكننا القول: إن الطبري هو أول من عمل على تنمية وتطوير الرواية الشعرية، من خلال شرحها، وتقليبها على كافة وجوهها.

١١- إن الإمام الطبري كان متشدداً في قبول الرواية الشعرية، للدرجة التي يلجأ فيها أحياناً إلى تطبيق قبول الرواية الحديثية، على قبول الرواية الشعرية من حيث قبول إسناد الثقة، فمثلاً يقول: أخبرني من أثق به عن الفراء أنه أنشده، وهو ما يدلل على تميزه وتفرده في كافة المستويات الأمر الذي جعله محط تقدير، واهتمام، من قبل كافة العلماء عبر تاريخهم الطويل.

وأخيراً، فقلد أثار الطبري إعجاب كثير من الدارسين في مجال المفردة القرآنية، ورصد دلالتها ومتابعة تطورها واشتقاقها على نحو يسهل مهمته في اقتناص المعاني الدقيقة للمفردات القرآنية، الأمر الذي دفع المحققين أمثال: أحمد شاكر، وبعض الدارسين إلى تسجيل استحقاق السبق للإمام الطبري في هذا الميدان، للدرجة التي وصف بها بأنه أتى على مفردات غريبة أغفلتها كثير من المعاجم[٣].

---

(١) سورة البقرة آية (١٥٩).

(٢) تفسير الطبري (٢/٥٨).

(٣) انظر: مقدمة تحقيق أحمد شاكر تفسير الطبري (١/١٧).

ويبدي جولد تسهر انبهاره بهذا التميز المطلق، والسبق المعلن فيقول: فإن ما اطلع به الطبري في تفسير القرآن مما يتصل بالناحية اللغوية لهو ركاز لا تحد نفاسته في بحث مفردات اللغة[١].

وما ينبغي الإشارة إليه أن الطبري لم يرم من خلال هذه المحاكمات اللغوية، والبحوث المستفيضة إلا إلى استجلاء المعاني اللغوية للنصوص القرآنية.

هذا وقد رصد أحد الباحثين أسباب إلحاح ابن جرير وعنايته بالألفاظ المفردة، علي نحو جعلها تطغى على باقي الجوانب اللغوية الأخرى وهي كالتالي:

الرصيد المعجمي الذي تحصل عليه من شيوخه في اللغة والأدب.

التطور المنهجي الذي عرفته عملية الشرح والتفسير على عهده (القرن الثالث الهجري) ويتجلى هذا التطور في شرح المادة اللغوية القرآنية، ومحاولة تناول معانيها على وجه من التوسع والتفصيل، والاستقصاء والشمول.

التطور السريع الذي عرفته دلالة الألفاظ اللغوية على عهده بفعل مجموعة من العوامل باعدت بين الناس وبين فهم القرآن فهماً عفوياً سليقياً[٢] وجدير بالذكر أن ثمة تلازم لا انفكاك عنه بين الدراسات المعجمية أو ما يسمى بعلم الغريب وبين نشأة الدراسات القرآنية باعتبارها مدخلاً أساساً، ومقدمة ضرورية لأي محاولة في فهم سليم للنص القرآن

---

(١) مذاهب التفسير الإسلامي صـ ١١٥.

(٢) انظر دراسة الطبري للمعنى للأستاذ المالكي ص ٢٢٩ مع تصرف يسير.

المبحث الثاني
إسهامات الشنقيطي الشعرية في تفسير القرآن

المطلب الأول
التعريف به

هو محمد الأمين محمد المختار بن عبدالقادر الجكني الشنقيطي، وينتمي نسب قبيلته إلى حمير، ولد عام ١٣٢٥هـ، وكان مسقط رأسه عند ماء يسمي (تنبه) من أعمال مديرية (كيفا) من القطر المسمى بـ شنقيط وهي دولة موريتانيا الإسلامية الآن.

ويظهر لنا عبر السيرة الذاتية التي أوردها الشنقيطي عن نفسه أنه ينتمي إلى أسرة علمية وثرية من الناحية المادية، فيقول: توفي والدي وأنا صغير أقرأ في جزء عم، وترك ثروة من الحيوان والمال، وكانت سكناي عند بيت أخوالي وأمي ابنة عم أبي، وحفظت القرآن على خالي عبدالله بن محمد المختار. ثم أخذ الشنقيطي يعدد لنا العلوم والفنون التي تلقاها عن علماء عصره، حيث بيت أخواله مدرسته الأولى، ولما بدت على الشنقيطي علامات التفوق على الأقران والنبوغ توجهت إليه العناية من قبل أسرته، حيث يقول: "ولما حفظت القرآن، وأخذت الرسم العثماني، وتفوقت فيه على الأقران عنيت بي والدتي وأخوالي أشد عناية، وعزموا على توجيهي بالدراسة في بقية الفنون، فجهزتني والدتي بجملين: أحدهما عليه مركبي وكتبي، والأخر عليه نفقتي ...." وبعد أن تحصن بالعلوم الشرعية في مختلف النواحي عزم الخروج لأداء فريضة الحج، وعلى نية العودة، لكن الله أراد له البقاء في حرم النبي صلى الله وعليه وسلم، فهيأ له أسباب ذلك، فتم له بأمر من الملك عبدالعزيز (رحمه الله) وبدأ بالتدريس في المسجد النبوي، ولكنه توسع في المذاهب الفقهية بعد أن كان اهتمامه منصباً على مذهب مالك، وذلك لما رأى أن هناك من يمتثل المذاهب الأربعة ويناقش فيها، ومن هنا جاء اهتمامه بالحديث النبوي كعامل مهم في الترجيح بين أراء أصحاب المذاهب الفقهية.

هذا وقد ترك لنا الشنقيطي من المؤلفات التي تحكي لنا غزارة علمه ومن أهمها:

١ - رجز في فروع مذهب مالك.

٢ - ألفية في المنطق.

٣ - نظم في الفرائض.

٤ - منع جواز المجاز في المنزل للتعبد والإعجاز.

٥ - دفع إيهام الإضطراب عن آي الكتاب.

٦ - مذكرة في الأصول على روضة الناظر.

٧ - آداب البحث والمناظرة، مع العديد من المحاضرات ذات المواضيع المستقلة وهي مطبوعة.

كانت وفاته رحمه الله يوم الخميس الموافق ١٣٩٣/١٢/١٧هـ[١].

المطلب الثاني
منهج الشنقيطي في إيراد الشواهد الشعرية

إذا كان الطبري يمثل الأنموذج القديم في باب توظيف الشواهد الشعرية في تفسير القرآن، فإن الشنقيطي يمثل الأنموذج الحديث في هذا الباب، مع ضرورة ملاحظة نقطة هامة ومنهجية تضع حداً فاصلا بين المنهجين، وهي توسع الشنقيطي في الاستعانة بالشعر، وإن لم يكن الهدف إيضاح وبيان مفرده قرآنية معينة، وهو مالا نلاحظه عند الطبري.

ومثال هذا التوسع هو ما استهل به الشنقيطي مقدمة تفسيره بإيراد سبعة أبيات من النظم، يحث ناظمها على الاهتمام بالعلم وعدم الزهد فيه، وعدم الالتفات إلى المحتقرين.

---

(١) ترجم له تلميذه عطية محمد سالم وذلك في مقدمة تفسيره، الناشر مكتبة ابن تيمية القاهرة.

وهناك سمة غالبة – أيضاً – تطغى على منهج الشنقيطي في ايراد الشواهد الشعرية، وهي إهتمامه بالمنظومات التي تيسر لطالب العلم حفظ بعض المتون الفقهية، أو اللغوية، فكان – رحمه الله – لايدع فرصة تمر دون أن يورد فيها شيئاً من تلك المنظومات، ودائما ماكان يكثر من النقل عن منظومة في مسائل أصول الفقه تسمى (مراقي السعود إلى مراقي السعود) لمؤلفها محمد الأمين أحمد زيدان المعروف بالمرابط (ت: ١٣٢٥هـ)، وقد قام بشرحها ودراستها في رسالة الماجستير د. محمد المختار، وهو ابن صاحب أضواء البيان العميد الأسبق لكلية الفقه وأصوله في الجامعة الإسلامية.

إلا أن هذا التوسع الملحوظ لايخرج الشنقيطي عن مساهمات جادة وفعالة في ميدان توظيف الشواهد الشعرية في فهم المفردة القرآنية، والتي يمكن إيضاحها على النحو الآتي:

١ – الرجوع إلى الشعر العربي للإحتجاج به في فهم مفردة قرآنية.

ومثاله: ماورد عنه في تفسير الغشاوة من قوله تعالى ﴿وَعَلَىٰٓ أَبۡصَٰرِهِمۡ غِشَٰوَةٞۖ﴾[١] حيث قال: والغشاوة: الغطاء على العين، يمنعها من الرؤية، ومنه قول الحارث بن خالد بن العاص:

هويتك إذ عيني عليها غشاوة فلما انجلت قطعت نفسي ألومها[٢]

٢ – الاحتجاج بالشعر العربي من أجل بيان وجه النصب في بعض القراءات القرآنية، ومثاله ما ورد عنه في تفسير الآية السابقة حيث قال: وعلى قراءة من نصب "غشاوة" فهي منصوبة بفعل محذوف أي وجعل على أبصارهم غشاوة كما في سورة الجاثية وهو كقوله:

علفتها تبناً وماءاً بارداً حتى شَكَتْ همالةً عيناها[٣]

٣ – الجمع بين المعاني القرآنية المتعارضة – في ظاهرها – بقالب بياني

---

(١) سورة البقرة آية ٧.
(٢) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ١/٣٩.
(٣) المصدر السابق ١/٣٩.

ناصع، ثم الاستشهاد لذلك بالشعر العربي.

ومثاله: ماورد عنه في تفسير قوله تعالى ﴿وَٱللَّهُ مُحِيطُۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ﴾[1].

حيث قال: قال بعض العلماء: محيط بالكافرين: أي مهلكهم، ويشهد لهذا القول: قوله تعالى: ﴿إِلَّآ أَن يُحَاطَ بِكُمْ﴾[2]

أي معناه: تهلكوا عن أخركم، وقيل تغلبوا، والمعنى متقارب، لإن الهالك لايهلك حتى يحاط به من جميع الجوانب، ولم يبق له منفذ للسلامة ينفذ منه، وكذلك المغلوب ومنه قول الشاعر:

أحطنا بهم حتى إذا ماتيقنو بما قد رأوا مالو جميعا إلى السَّلْم[3]

٤ - اللجوء إلى الشعر العربي لبيان فصاحة بعض المفردات، وإن لم يستعملها القرآن الكريم، ومثاله: ماورد في تفسير قوله تعالى ﴿وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ﴾[4].

حيث قال والأزواج: جمع زوج، بلا هاء في اللغة الفصحى، والزوجة (بالهاء) لغة لا لحن، كما زعمه البعض، ومن شواهده: قول الفرزدق

وإن الذي يسعى ليفسد زوجتي كساعٍ إلى أسد الشرى يستبيلها.

ويلاحظ أنه في هذا البيت قام بعزوه إلى الفرزدق بينما لم ينسب أغلب الشواهد الشعرية السابقة إلى أحد، وهو منهج سار عليه في تفسيره، فأحياناً ينسب البيت إلى زهير، والنابغة، والأعشى، والخنساء، وعمر بن أبي ربيعة، وأحياناً كثيرة يذكره مجرداً عن النسبة.

٥- الوقوف عند أشعار العرب؛ لبيان أحكام بعض أحرف العطف في اللغة العربية، فقد استدل - مثلاً - بأشعار العرب لبيان أن عطف الشيء على نفسه قد يكون للمغايرة بين الصفات، مع كون الذات شيئاً واحداً، ومثاله:

---

(١) سورة البقرة آية ١٩.
(٢) سورة يوسف آية ٦٦.
(٣) أضواء البيان ١/٤٢.
(٤) سورة البقرة آية ٢٥.

ما ورد عنه في تفسير قوله تعالى ﴿وَإِذْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾[1].

حيث قال: الظاهر في معناه: أن الفرقان هو الكتاب الذي أوتيه موسى، وإنما عطف على نفسه، تنزيلاً لتغاير الصفات منزلة تغاير الذوات، لأن ذلك الكتاب الذي هو التوراة موصوف بأمرين:

- أحدهما: أنه مكتوب كتبه الله لنبيه موسى عليه السلام.
- الثاني: أنه فرقان، أي فارق بين الحق والباطل، فعطف الفرقان على الكتاب، مع أنه هو نفسه لتغاير الصفتين، كقول الشاعر:

إلى الملك القرم وابن الهمام وليث الكتيبة في المزدحم[2]

ثم يستطرد الشنقيطي لبيان دلالات عطف الشئ على نفسه مع اختلاف اللفظ فقط عند العرب[3].

ومع كل هذا الثراء الشعري الذي يتزين به هذا التفسير، إلا أنه لم يكن إيراد الشواهد الشعرية عند الشنقيطي بحثاً ملحاً دوماً عن معاني المفردات القرآنية - كما هو الحال عند الطبري - والرجوع بالكلمة إلى أصل اشتقاقها، ومحاولة سبر غورها، وإنما كان يكتفي من تلك الشواهد ما يحقق فهم الآية على الوجه الذي من أجله أورد الشاهد الشعري لغرض بيان المفردات اللغوية، أو الأساليب والتعابير القرآنية، أو تقرير بعض الأوجه والقواعد النحوية، دون أن يتعقب هذه الشواهد التي ساقها بالشرح والبيان والإيضاح مايبين وجه الدلالة منها، سوى المواضع التي ينقل فيها عن الطبري نقلاً مباشراً كما في تفسير التأويل من قوله تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ﴾[4].
حيث نقل تعليقات الطبري وشرحه على البيت الذي أورده[5].

---

(١) سورة البقرة آية ٥٣.
(٢) تفسير الشنقيطي ٦٢/١.
(٣) المصدر السابق ٦٣/١.
(٤) سورة آل عمران آية ٧.
(٥) أضواء البيان ٢٠٨/١.

الخاتمـــة

وبعد هذه الجولة الماتعة في رحاب تحديد العلاقة بين المفردة القرآنية والنصوص الشعرية يمكنني استخلاص النتائج الآتية :

١ – تميز الإمام الطبري في القدرة على توظيف الشعر العربي في تفسير القرآن، وتشكيل مدرسة متكاملة في هذا الباب، لاسيما أنه أول من عني بتوسيع الاهتمام بأشعار العرب.

٢ – استحقاق ابن جرير لم تمتع به من تداخل على المستوى المعرفي والثقافي في أن يسلط عليه الضوء من لدن الباحثين، لاسيما أنها شخصية استوعبت العلوم والمعارف المتنوعة في تلك الحقبة بالفهم والتحليل والنقد.

٣ – يمكن اعتبار محمد الأمين الشنقيطي أحد أبرز المفسرين المعاصرين الذين استلهموا فكرة مدرسة ابن جرير الطبري فيما يتعلق بإقامة علاقة وطيدة بين النص القرآني، والنص الشعري.

٤ – أهمية الشواهد الشعرية في كشف غموض المفردة القرآنية، وأنها لا تقل قيمة وأهمية عن باقي الأصول المعتبرة في فهم النص القرآني، وإن كانت لا تتقدم عليها في الرتبة، وإنما تأتي تكميلاً وتتميماً للمعطيات اللازم توافرها في كشف دقيق، ومتكامل للنص القرآني.

٥ – أن التهيب والتحرج الذي كان سائداً في العصور الأولى حجب كثيراً من المفسرين عن توظيف هذا اللون من الشعر في تفسير القرآن الكريم.

٦ – يستمد الشعر العربي قوته ومكانته من أصل هام ومعتبر وهو أن القرآن نزل بلغة العرب، ووفق أساليبهم.

فهرس المصادر والمراجع

١ – الإتقان في علوم القرآن لجلال الدين السيوطي – تحقيق سعيد المندوه – مؤسسة الكتب الثقافية – بيروت – ط ١ – (١٤١٦هـ – ١٩٩٦م).

٢ – الاستشهاد والاحتجاج باللغة د. محمد عيد – عالم الكتب ط ٣ ١٩٨٨.

٣ – أصول التفسير وقواعده – تأليف خالد عبد الرحمن العك – دار النفائس – بيروت – ط ٢– (١٤٠٦هـ – ١٩٨٦م).

٤ – أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن محمد الأمين الشنقيطي – دار الكتب العلمية – بيروت ط (١٤١٧هـ – ١٩٩٦مـ)

٥ – البرهان في علوم القرآن لبدر الدين الزركشي – تحقيق جماعة من العلماء – دار المعرفة – بيروت – ط ٢ – (١٤١٥هـ – ١٩٩٤م).

٦ – تاريخ بغداد لأحمد بن علي المعروف بالخطيب البغدادي – مكتبة الخانجي – القاهرة – (١٩٣١م).

٧ – تفسير الطبري المسمى جامع البيان في تأويل القرآن لمحمد بن جرير الطبري – دار الكتب العلمية – بيروت – ط ١– (١٤١٢هـ – ١٩٩٢م).

٨ – تفسير القرآن الكريم – أصوله وضوابطه د. علي سليمان العبيد – مكتبة التوبة – الرياض – ط ١– (١٤١٨هـ – ١٩٩٨م).

٩ – التفسير والمفسرون للدكتور محمد حسين الذهبي – مكتبة وهبة – القاهرة – ط ٦ – (١٤١٦هـ – ١٩٩٥م).

١٠– دراسة الطبري للمعنى من خلال تفسيره للأستاذ محمد المالكي الناشر وزارة الأوقاف المغربية (١٩٩٦م).

١١– طبقات المفسرين لمحمد بن علي الداودي – القاهرة – (١٩٧٢م).

١٢– عيون الأخبار لأبي محمد بن قتيبة – دار الكتب العلمية – بيروت – تحقيق د. يوسف علي طويل.

١٣- مدخل إلى علم التفسير للدكتور محمد بلتاجي - مكتبة الشباب - القاهرة - (١٤١٨هـ - ١٩٩٨م).

١٤- مذاهب التفسير الإسلامي - جولد تسيهر - نقله إلى العربية عبد الحليم النجار - مكتبة الخانجي - مصر - ط ١- ١٩٥٥م.

١٥- مقدمة تحقيق أحمد شاكر، ومحمود شاكر لتفسير الطبري - دار المعارف - القاهرة.

١٦- الموافقات في أصول الشريعة لأبي إسحاق الشاطبي - تحقيق عبد الله دراز - دار المعرفة - بيروت - يطلب من المكتبة التجارية بالقاهرة.